الفصل الأول

الحياة السياسية المعاصرة فى العالم الاسلامى
بعد سقوط الخلافة العثمانية

لقد مكثت الخلافة العثمانية أكثر من خمسمائة عام تمثل العالم الاسلامى وتحمل لواء الاسلام وتذود عن المقدسات الاسلامية وتحمى الديار وتحفظها وتحارب الغزو الغربى الصليبى وتصد غاراته . فكانت ـ رغم كل شىء ـ رمز قوة الاسلام وشوكته حيث امتدت أطرافها حتى شملت آسيا وافريقيا وأوروبا(١) .

وكانت الخلافة العثمانية فى مطلع القرن العشرين لا تزال حقيقة واقعة بل انها كانت كبرى الحقائق فى العالم الاسلامى ولا يتوقع كثير من الناس بأن نهايتها تكون قريبة ، ولكن العوامل والأسباب التى تؤدى الى سقوطها فى الحقيقة كانت تتجمع وتتكاثر والتى كان من شأنها انها بعد بضع سنوات من بدء القرن العشرين أدت الى خلع السلطان عبد الحميد ثم اسقاط الخلافة العثمانية آخر رمز لنظام الخلافة الاسلامية فى العالم(٢) . وعلى انقاضها قامت دويلات قومية متفرقة فى العالم الاسلامى المعاصر ، وبغياب نظام الخلافة الاسلامية تتوالى المصائب على الأمة الاسلامية واصبح العالم الاسلامى فى اضطراب وعدم الاستقرار . وتحكمه دول وطنية وحكومات قومية تتخذ العلمانية نظاما لها بدلا عن النظام الاسلامى الأصيل .

---

(١) انظر : نظام الخلافة فى الفكر الاسلامى ، للدكتور مصطفى حلمى ، دار الأنصار القاهرة ، طبعة أولى ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ، ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨ باختصار وتصرف .

(٢) انظر : تباشير النهضة فى العالم الاسلامى للدكتور محمد ضياء الدين الريس ، دار الأنصار القاهرة ، دار الدعوة للطباعة والنشر القاهرة الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ، ص ١٧٣ ـ ١٧٦ باختصار وتصرف .

وهـذا ما سـوف نوضحه فى هـذا الفصـل ونقسـمه الى ثلاثة مباحث هى :

الأول : سقوط الخلافة العثمانية وأسبابها ٠

الثانى : الدعوات القومية والعلمانية ٠

الثالث : قيام الدويلات الوطنية على أساس علمانى وقومى جاهلى ٠

* * *

المبحث الأول

سقوط الخلافة العثمانية وأسبابه والاعلان به

كانت الخلافة العثمانية فى مطلع القرن العشرين قد بلغت أشد مراحل الضعف والانحلال حتى أطلق عليها لقب « الرجل المريض » وكانت الدول الأوروبية الصـليبية قد اتجهت مطامعها الامبريالية الى اقطار الخلافة العثمانية من العالم الاسلامى ٠ وبدأ اليهود والصليبيون اعداء الاسلام بث الدعوة القومية بين الأقليات ، وقام المحفل الماسونى فى تركيا بالدعوة الى القومية التركية لتمزيق وحـدة الخلافة العثمانية واسقاطها(٣) ٠

وقد تجمعت عوامل داخليـة وخارجية تؤدى الى سقوط الخلافة العثمانية ومنها ما يلى :

● **العوامل الداخليـة :**

١ ـ استبداد الملوك وجورهم وسوء تربيتهم وفساد أخلاقهم وخيانة الأمراء وغشهم للأمة واخلاد الشعب الى الدعة والراحة الى غير ذلك

---

(٣) انظر : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام للشيخ احمد بشير رئيس جمعية اقامة الاسلام بمدينة مراوى / الفلبين ٠ من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الاسلامى الذى عقدته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦ هـ طباعة الجامعة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ص ٤٦٢ بتصرف ٠

من اخلاق الأمم المنحطة . وكان شر ما اصيبوا به الجمود فى العلم والجمود فى صناعة الحرب وتنظيم الجيوش . ولم يكن الجمود العلمى والكلال الفكرى مقتصرين على تركيا واوساطها العلمية والدينية فحسب . بل كان العالم الاسلامى من شرقه الى غربه مصابا بالجدب العلمى ، وشبه شلل فكرى قد اخذه الاعياء والفتور واستولى عليه النعاس(٤) .

٢ ـ انقلاب جمعية الاتحاد والترقى على السلطان العثمانى . وكانت جمعية الاتحاد والترقى تلعب دورا مهما فى اسقاط الخلافة العثمانية(٥) . وكانت صلتها بالحركة الماسونية العالمية والحركة الصهيونية معروفة . ويقول السلطان عبد الحميد فى رسالته الى الشيخ محمود ابو الشامات بدمشق « اننى لم اتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما سوى اننى بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقى المعروفة باسم « جون تورك » وتهديدهم اضطررت واجبرت على ترك الخلافة ، ان هؤلاء الاتحاديين قد اصروا واصروا على بأن اصادق على تاسيس وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم اصرارهم فلم اقبل بصورة قطعية هذا التكليف . وأخيرا وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهبا فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية ايضا واجبتهم بهذا الجواب القطعى الآتى : انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا ـ فضلا عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهبا ـ فلن اقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى . لقد خدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم اسود صحائف المسلمين آبائى واجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين . لهذا لن اقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى ايضا . وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى وابلغونى انهم سيبعدونى الى « سلانيك » فقبلت بهذا التكليف الأخير . وحمدت

---

(٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للسيد ابى الحسن على الحسنى الندوى الناشر دار عمر بن الخطاب الطبعة السابعة ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) ص ١٤٨ ـ ١٥١

(٥) انظر : تباشير النهضة فى العالم الاسلامى للدكتور محمد ضياء الدين الريس ص ١٧٦ ـ ١٧٨ .

المولى واحمده أننى لم اقبل بأن الطخ الدولة العثمانية والعالم الاسلامى بهذا العار الأبدى الناشىء عن تكليفهم باقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة (فلسطين) . وقد كان بعد ذلك ما كان »(٦) .

هـذا هو السلطان عبد الحميد الذى قال لهرتزل والحاخام موسى ليفى : « ان أراضى الوطن لا تباع ، ان البـلاد التى امتلكت بالدماء لا تباع الا بالثمن نفسه » .

وخلع السلطان الرجل ، وكان اليهودى الاسلامى الاسبانى ايمانويل قرهصوه من بين أعضـاء اللجنة التى ابلغت الخليفة المسـلم السلطان عبد الحميد قرار خلعه(٧) .

* * *

● **العوامل الخارجيـة :**

تتمثل العوامل الخارجيـة فى المؤامرات الدولية لتقسـيم العالم الاسلامى ومنها ما يلى :

١ ـ مراسلات « حسين ـ مكماهون » :

كانت انجلترا ممثلة لحليفاتها تخشى وقوف العرب مع الأتراك الذين يحثون زعماء العرب على اعلان الجهاد الاسلامى اذا وقعت الحرب بينها وبين الأتراك . ووجدت فى أوائل الحرب العالمية الأولى انها فى مأزق لو استجاب العرب لدعوة الجهاد الذى نادى به الأتراك . وأحست بضعفها ازاء جيوش المسلمين اذا اتحدوا تحت لواء الاسلام . ورات انها لا يمكن أن تتفادى هـذه الأخطار الا اذا صادقت العرب وعقدت حلفا مع زعمائهم . وكانت اتصالات فى ذلك الوقت بينها وبين الشريف حسين

---

(٦) نظام الخلافة فى الفكر الاسلامى للدكتور مصطفى حلمى ص ٥٤١ ـ ٥٤٢

(٧) مجلة الارشاد (اليمنية) السـنة السادسة العددان العاشر والحادى عشر ص ٤ ، ٣

وولديه عبد الله وفيصل . وخلال المراسلات بين الشريف حسين وبين هنرى مكماهون (معتمد بريطانيا فى مصر) اعربت انجلترا فى عام ١٩١٤ عن قبولها للمطالب التى كان يعرضها الحسين . وتعهدت بالعمل على تأييدها وتحقيقها . وهى تتلخص فى استقلال العرب ووحدتهم وذلك بانشاء دولة عربية متحدة تشمل جزيرة العرب والشام بما فيه فلسطين والعراق وينادى به ملكا عليها .

فنتيجة لهذا الوعد خرج الحسين وأولاده على الدولة العلية التركية وأعلنوا الحرب فى يونيو عام ١٩١٦ . وظلوا الى نهاية الحرب العالمية الأولى يساعدون انجلترا وفرنسا فى جهودهما لانزال الهزيمة بالأتراك(٨) .

٢ ـ معاهدة « سايكس ـ بيكو » :

وفى نفس الوقت الذى كانت انجلترا تتفق فيه مع الشريف حسين على تتويجه ملكا كانت تتفاوض مع فرنسا وروسيا وتوصلت الى عقد معاهدة فى مايو عام ١٩١٦ وهى التى عرفت باسم معاهدة « سايكس ـ بيكو » نسبة الى ممثلى انجلترا وفرنسا اللذين عقداها . واتفقت فيها الدول الثلاث (انجلترا ـ فرنسا ـ روسيا) على تقسيم اقطار العالم الاسلامى وتوزيعها فيما بينها بعد هزيمة تركيا . وذلك التقسيم يكون على هذا الوجه :

(أ) أن تأخذ روسيا القسطنطينية ومناطق حولها وأراضى على الضفة المقابلة فى آسيا .

(ب) وان تعطى لفرنسا سوريا ولبنان ثم ولاية الموصل شمالى العراق أيضا .

(جـ) واما انجلترا فتأخذ الجزء الأكبر من فلسطين وبقية ولايات العراق الى الجنوب ثم تجعل منطقة معينة حول القدس دولية .

---

(٨) انظر : تباشير النهضة فى العالم الاسلامى للدكتور محمد ضياء الدين الريس ص ١٩٩ ـ ٢٠٠

ولقد بقيت المعاهدة سرية لم يسمع العرب بوجودها الا بعد ان خرجت روسيا من الحرب عقب استيلاء الحزب الشيوعى على السلطة فى روسيا ونشره نص هـذه الاتفاقية من المعاهدة السرية(٩) .

٣ ـ تصريح « بلفور » عن وعد انجلترا باقامة دولة يهودية :

وكان اخطر اتفاق عقدته انجلترا فى أثناء الحرب العالمية الأولى اتفاقها مع الحركة الصهيونية . فقد استطاع وايزمان ـ مؤيدا بروتشيلد والراسماليين اليهود فى أمريكا وانجلترا ـ ان يعقد اتفاقا مع لويد جورج رئيس وزارة انجلترا وبلفور وزير خارجيتها ، وتتعهد فيها انجلترا بوعد ان تبذل أقصى ما تستطيع لتحقيق أمل اليهود فى انشاء وطن قومى لهم فى فلسطين . وصـدر بذلك تصريح بلفـور الشـهير فى نوفمبر عام ١٩١٧(١٠) .

٤ ـ تقرير « لورانس » :

قام الكولونيل لورانس بكتابة تقرير للمخابرات البريطانية فى عام ١٩١٦ وجاء فيه(١١) « ان أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الاسلامية بدحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها ، واذا عرفنا كيف نعامل العرب فسيبقون دوامة الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة متنافرة غير قابلة للتماسك » .

وبعد ثمانية اعوام من هـذا التقرير تحققت الأهداف الاستعمارية

---

(٩) انظر : تباشير النهضة فى العالم الاسـلامى للدكتور محمد ضياء الدين الريس ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ وكذلك العـالم الاسـلامى والمكائد الدولية للأستاذ فتحى يكن ص ٥٢ ـ ٥٣

(١٠) انظر : تباشير النهضة فى العالم الاسـلامى للدكتور محمد ضياء الدين الريس ص ٢٠١

(١١) نقلا عن مجلة الارشاد (اليمنية) العدد الثامن والتاسع ، السنة السادسة لشهر شعبان ، ورمضان ١٤٠٤ هـ (مايو ، يونيو ١٩٨٤ م) تحت عنوان : الخلافة الاسـلامية بعد ستين سـنة من سقوطها للأستاذ صلاح الدين عبد المقصود وكذلك فى نظام الخلافة الاسـلامية فى الفكر الاسـلامى للدكتور مصطفى حلمى فى المقدمة (ق) .

وسقطت الخلافة الاسلامية ودمرت الامبراطورية العثمانية التى كانت تمتد فى ثلاث قارات : آسيا وافريقيا واوروبا ٠

* * *

● **اعلان أتاتورك بالغاء الخلافة الاسلامية :**

فى يوم ٢ مارس سنة ١٩٢٤ م (١٣٤٣ هـ) أصدر كمال أتاتورك قراره بالغاء الخلافة الاسلامية ٠ وأعلن لاول مرة أن تركيا دولة علمانية والغى التعليم الاسلامى فى مدارس تركيا وأغلق المحاكم الشرعية التى كانت تحكم بالاسلام وأغلق مسجد اياصوفيا بالقسطنطينية وهو أول مسجد بها حيث اتخذه الأمير محمد الفاتح مسجدا عندما فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م ٠

ولم يكتف أتاتورك بذلك بل أصدر قرارا بمنع المسلمين الاتراك من الحج الى بيت الله الحرام ٠ وتمادى أتاتورك فى الضلالة فاصدر قرارات كثيرة منها منع الأذان ومنع التحدث باللغة العربية واحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية فى كتابة اللغة التركية ٠ وتحريم تعدد الزوجات ، واباحة الزواج للمسلمات من النصارى واليهود وفرض السفور والتبرج على النساء المسلمات ومنع الطربوش غطاء الرأس التركى واستبداله بالغطاء الغربى والقبعة بالقوة(١٢) ٠

* * *

● **احتجاج العالم الاسلامى على الغاء الخلافة :**

وجد المسلمون فى العالم بعد سقوط الخلافة الاسلامية على يد كمال أتاتورك عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤م) أنهم لأول مرة فى تاريخهم بلا خليفة يجتمعون حوله منذ أن اسسها الخلفاء الراشدون بعد وفاة

---

(١٢) مجلة الارشاد (اليمنية) العدد السابع السنة السادسة رجب ١٤٠٤ هـ (ابريل ١٩٨٤ م) مقال للأستاذ صلاح الدين عبد المقصود ٠ وانظر كذلك الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٤٧ – ٤٨

الرسول ﷺ وكانت الخلافة الاسلامية فى كل العصور رمزا للوحدة السياسية الاسلامية وهى تستطيع جمع شمل المسلمين فى المحن والشدائد ليكونوا جنود الاسلام فى معسكر واحد ضد معسكرات الكفر . وكانت الخلافة تجمع المسلمين على أساس دين الاسلام دون تمييز بين لون ولا جنس ولا لغة .

وكان لسقوط الخلافة الاسلامية اسى بالغ فى نفوس المسلمين فى كل مكان ، وقام المسلمون فى أنحاء مختلفة من الأرض يحاولون معالجة الأمر كل بطريقته . واختلفت المحاولات من الاحتجاج والادانة الى حركة المقاومة المسلحة . ففى الهند جاء وفد من مسلميها الى تركيا يقدمون التماسا لكمال اتاتورك أن يعدل عن رأيه فى الغاء الخلافة واقترحوا عليه ان يتولاها هو بنفسه والمسلمون على استعداد لمبايعته ولكن محاولتهم ارتطمت بتصميمه الجازم على المضى فيما اقدم عليه .

وفى مصر تنادى علماء الأزهر الى عقد مؤتمر عام يبحثون فيه قضية الغاء الخلافة وانعقد المؤتمر عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) الا انه لم يسفر عن شىء .

الا أن اعظم رفض واعنفه لسقوط الخلافة كان هو حركة المقاومة المسلحة التى قادها الشيخ سعيد فى شرقى تركيا عام ١٩٢٥ . والذى عرف فى تاريخ الاسلام المعاصر بالثورة الكردية زورا وبهتانا ، فقد نسب المؤرخون المعاصرون هذه الحركة الاسلامية الجهادية الى الأكراد انسياقا وراء التفسير العنصرى للتاريخ . وفى الحقيقة أن حركة الشيخ سعيد كانت حركة مقاومة اسلامية اتخذت أسلوب الجهاد والقتال ضد الحكم العلمانى فى تركيا وهدفها تمكين الاسلام واحياء الخلافة الاسلامية ، وليست هى الوحيدة من نوعها ، فقد تزامنت مع حركة الأمير عبد الكريم الخطابى فى جبال الريف بالمغرب ضد الاسبان ، ومع حركة المجاهد الشهيد عمر المختار فى الجبل الأخضر بليبيا ضد الاحتلال الايطالى ، كما سبقتها حركات اسلامية أخرى كحركة الامام شامل فى جبال القفقاش وحركة الأمير عبد القادر فى الجزائر .

وعلى الرغم من ان هذه الحركات الاسلامية لم يكتب لهـا النجاح للفارق الكبير بين قوتها المـادية وقوة اعدائها الا انها تركت للأجيـال الاسـلامية اللاحقة مثلا رفيعة من التضحية والاستشهاد وصورا رائعة فى الجهاد والقتال . وتأكيد لهذه الأجيال على أن الجهاد ماض الى يوم القيامة (١٣) .

* * *

● محاسن الخلافة العثمانية :

قد ذكر الدكتور مصطفى حلمى فى كتـابه « نظام الخلافة فى الفكر الاسلامى » محاسن الخلافة العثمانية فيقول(١٤) : « ولكن يكفى ان نذكر من محاسن هـذا النظام أمرا واحدا لكى ترى ضرورته والحاجة اليه ، ذلك أن الأمة الاسلامية كانت فى ظله تحس انها كيان واحد متماسك لا بد لها من خليفة يسوسها بشريعة الله » .

ولقد افترى على الخلافة العثمانية كثير .. الا انها كانت وما زالت تترك فى نفوس المسلمين المعانى الكثيرة . يقول الأستاذ عبد الرحمن حنبكة الميدانى فى كتـابه « أجنحة المكر الثـلاثة وخوافيها »(١٥) : « وكان وجود الخلافة فى المسلمين يتضمن لديهم المعانى التالية :

الأول : أن بقاء الخلافة يعنى وجود نظـام سياسى يجمع شـمل المسلمين مهما بلغ واقع حال هـذا النظام الى مستوى محزن من الضعف والرمزية بفعل الدسائس الاستعمارية .

---

(١٣) مجلة الأمة (القطرية) العدد (١٢) السنة الأولى ذو الحجة ١٤٠١هـ (اكتوبر ١٩٨١ م) تحت عنوان : ثورة الشيخ سعيد فى تركيـا لاحياء الخلافة الاسلامية للأستاذ عبد الكريم مشهدانى ص ٣٣ مع بعض التصرف والاختصار .

(١٤) نظام الخلافة فى الفكر الاسـلامى للدكتور مصطفى حلمى ص ٥٣٧

(١٥) نقلا عن مجلة الارشـاد (اليمنية) السنة السادسة العدد (١٠ ـ ١١) شوال وذى القعدة ١٤٠٤ هـ (يوليو ، أغسطس ١٩٨٤ م) ص ٣٦

الثانى : أن بقاء الخلافة دليل على استمرار تاريخ المسلمين فى ظل شعار سياسى واحد .

الثالث : أن بقاء الخلافة يعنى بقاء الرباط الذى يبرر للمسلمين الاشتراك والمساهمة فى الدفاع الدولى عن بلاد المسلمين وحقوقهم واقامة الوان التعاون فيما بينهم .

الرابع : أن بقاء الخلافة يقضى فى أدنى الحدود الرمزية بأن تقوم بين بلادهم حواجز مصطنعة وهـذا يعنى اشتراك الشعوب الاسلامية فى ديارهم وتمتعهم بحريات تنقلهم وتملكهم وتجاراتهم وسائر مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية .

* * *

● **مأساة المسلمين فى غيبة الخلافة :**

لم يذكر التاريخ أن المسلمين منذ سقوط الخلافة فى ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) أنهم توحدوا قط على غير الخلافة . فبسقوط الخلافة غاب النظام السياسى الاسلامى الذى كان يجمع شمل المسلمين وانفرط العقد الذى كان ينظم كل الأقطار الاسلامية ولم يعد فى امكان المسلمين أن يقفوا صفا واحدا أمام أعدائهم ممزقين ، ورأينا الحواجز المصطنعة التى وضعت فى وجه المسلم وليس فى مقدوره أن ينتقل بحرية بين أرجاء العالم الاسلامى كما كان أيام الخلافة .

لقد كانت الأمة الاسلامية فى ظل الخلافة تحس انها كيان واحد وانها قوة لا يستهان بها فى وجه أى عدو .

واذا كنا نعترف بكثير من المساوىء للخلافة العثمانية الا أنه ينبغى الاعتراف أيضا بأنها استطاعت أن تمكث أكثر من خمسمائة عام تحمى ديار الاسلام وتذود عن المقدسات وتحارب الاستعمار وترد غاراته .

وبعد سقوطها رأينا أطراف العالم الاسلامى تنتقص ، فما زال الاحتلال اليهودى يجثم على صدر فلسطين وأجزاء من سوريا ومصر وجنوب لبنان .

بل الدولة الاسرائيلية ذاتها ظهرت خلال غيبة الخلافة الاسلامية . وغزا الشيوعيون افغانستان المسلمة وما يزال المجاهدون الأفغان يقاتلون ، والأقليات الاســـلامية فى كل البلاد أصبحت تداس بالنعال فى بلغاريا وبورما وكشمير وألبانيا(١٦) .

* * *

---

(١٦) مجلة الارشاد (اليمنية) السنة الســادسة العددان العــاشر والحادى عشر شوال وذى القعدة ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) ص ١٦ بتصرف.

المبحث الثانى

الدعوات القوميـــة والعلمانيـــة

ولمـا سقطت الخلافة الاسلامية ازدادت الدعوات القومية والعلمانية نشـاطا وانتشارا وأصبحت الدعوة الى قيام الدولة القومية فى اقطـار العالم الاسـلامى على أساس علمانى يفصل الدين الاسلامى عن الحكم والدولة ، وصـارت القومية تتقدم على الاســـلام وتعلو عليـه فى نظر أصحابها ٠

● **بروز النزعات القومية الجاهلية :**

كانت هناك عدة دعوات منها الدعوة الى القوميـة العربية فى البلاد العربية والدعوة الى القومية الطورانية فى تركيا والدعوة الى القومية الفارسـية فى ايران والدعوة الى القومية الهندية التى كان يدعـو اليها المؤتمر الوطنى الهندى(١) ٠

ولقد عمل الاستعمار الصليبى على اذكاء وتشجيع النزعة القومية وذلك ليكون الولاء لها بدل الاسلام وكان أن نشـأ خلال هذه الفترة كثير من النظم والأحزاب على أساس الولاء للقوميـة ٠ فوجدنا أن هنـاك دعوات قومية جاهلية ضيقة ، فكانت الدعوة الى القومية الفينيقية فى سوريا والدعوة الى القومية الكردية فى العراق والدعوة الى القومية الفرعونية فى مصر والدعوة الى القوميـة البربرية فى الجزائر(٢) ٠

وهكذا تحقق لأعداء الاسلام ما يهدفون اليـه من تحـويل ولاء المسلمين عن الاسـلام ، ولم يقف الأمر عنـد هذا الولاء القومى على

---

(١) مجلة الارشاد (اليمنية) السنة السادسة العدد (٩٠٨) ص ٤٤

(٢) انظر مجلة الارشاد (اليمنية) السنة السادسة العدد (٩٠٨) عام ١٤٠٤ وكذلك كتاب : العالم الاسلامى والمكائد الدولية للأستاذ فتحى يكن ص ٥٤ ـ ٥٥ ٠

حساب الولاء الاسلامى بل ظهر المد الفكرى الشيوعى لكى يشكل مع التواطؤ النصرانى اليهودى حلقة كاملة تلتف حول المجتمع الاسلامى ، وقد نجم عن هذا انسحابات كثيرة من أطار العمل القومى بسبب من هذه التوجهات الشيوعية المقترنة بتوجهات نصرانية يهودية ورغم العداء بين هذه التيارات الثلاث الا أنها تشترك معا فى عدائها للاسلام(٣) .

* * *

● **القوميون تلامذة لليهود وعملاء للغرب الصليبى :**

كانت القومية أطروحة غربية أساسا ظهرت عى اثر تمزق وحدة المجتمع الأوربى المسيحى حين ظهرت دعوة لوثر وكلفن تحت اسم البروتستانتية وكانت وراءها قوى تهدف الى تدمير النظام المسيحى الذى كان يقوم فى أوروبا . ومنذ بدأت الحركة البروتستانتية بدأت معها رياح القومية التى ترمى الى اعلاء شأن الوطن والقوم واحلالها محل الدين وذلك لاخفاء الفرق بين المسيحى واليهودى وهو ما سعت اليه اليهودية من خلال ما أطلق عليه عصر التنوير وتحققت غايتها بالثورة الفرنسية ومن ثم تداعت الصبغة الدينية المسيحية وعلت الصبغة القومية وقفز اليهود الى مناصب القيادة الفكرية والأدبية فى المجتمع الغربى ثم الى مناصب السيادة فى البرلمانات الأوربية(٤) .

والمتأمل فى دعاة القومية فى البلاد الاسلامية يجد أنهم عملاء للغرب وتلامذة لليهود . فالملاحظ أن أكثر من ٩٠٪ من زعماء القومية العربية هم خريجو الجامعة الانجيلية (الأمريكية) فى بيروت . ففى الوطن العربى نجد ميشيل عفلق زعيم حزب البعث العربى الاشتراكى وأنطوان سعادة زعيم القوميين السوريين وجورج حبش زعيم القوميين العرب

---

(٣) انظر العالم الاسلامى والمكائد الدولية للأستاذ فتحى يكن ص ٥٥

(٤) مؤلفات فى الميزان للأستاذ أنور الجندى ص ٤٩ باختصار وتصرف .

الفلسطينيين ، وفى تركيا نجد أن ضياكوك ألب مفكر القومية الطورانية هو تلميذ المفكر اليهودى دوركايم(٥) .

* * *

● **القومية جاهليـة جديدة :**

ان القومية بالمعنى الذى قرره دعاتها تعتبر جاهلية جديدة اذ أن دعاتها يرفعونها فوق الاسلام ويقدمونها عليه ، يدعون الى اقصاء الاسلام وفصله عن الحكم وحبسه فى المساجد ، بل يصل الأمر الى الكفر بالله وبدين الاسلام الذى أنزله الله على خاتم الأنبياء محمد ﷺ .

وقد ذكر الأستاذ فتحى يكن فى كتابه « حركات هدامة » ما جـاء فى كتاب مؤسس القومية أنطوان سعادة « نشوء الأمم » : « أن فكرة الألوهية انما اخترعها الانســان يوم كان رازخا تحت سـلطان الخوف والوهم والخرافة » ، وفى هذا كفر صريح حيث ينكر وجود الله ســبحانه وتعالى(٦) .

وعن الحزب الذى نشأ فى الثلاثينيات ـ فى سوريا ـ يقول الأستاذ فتحى يكن : « وهو على سبيل المثال يدعو الى فكرة القومية الســورية ويعتبرها مستقلة عن القومية العربية ويرى ان ازهى العصور فى تاريخ سوريا هو العصر الفينيقى بوثنيته وكفره وخمره وعاداته وتقاليده ، ويعتبر الفتح الاسلامى فتحا أجنبيا ، وترى القومية السورية « اننا جميعا مسلمون ونصارى منا من أسـلم لله بالانجيل ومنا من أسلم لله بالقرآن ومنا من أسلم لله بالحكمة »(٧) .

---

(٥) مجلة الارشــاد (اليمنية) السنة السادسة العدد (٩٠٨) شعبان ـ رمضان ١٤٠٤ هـ (مايو ـ يونيو ١٩٨٤ م) تحت عنوان : الخلافة الاسلامية بعد ستين سنة من ســقوطها للأســتاذ صــلاح الديــن عبد المقصود ص ٤٤ ـ ٤٥ باختصار .

(٦) مجلة الارشــاد (اليمنية) السنة السادسة العدد (٩٠٨) شعبان ـ رمضان ١٤٠٤ هـ (مايو ـ يونيو ١٩٨٤ م) تحت عنوان : الخلافة الاسلامية بعد ستين سنة من سقوطها للأستاذ صلاح الدين عبد المقصود ص ٤٥ باختصار وتصرف .

(٧) المصدر الســابق ص ٤٥

جاء على لسان على ناصر الدين أحد رواد القومية العربية قوله : « القومية بالنسبة الينا نحن القوميين العرب دين له جنته وناره ولكن فى الدنيا »(٨) ٠

وقال عمر فاخورى : « لا ينهض العرب حتى تصبح القومية العربية أو المبدأ العربى دينا يغارون عليه كما يغار المسلمون على القرآن الكريم والمسيحيون على الانجيل الرحيم »(٩) ٠

وقد قرر الأستاذ الامام الشهيد حسن البنا أن هـؤلاء الدعاة الى القومية واحياء عادات جاهلية يؤدى بمفهومهم وأفعالهم الى الشرك والبعد عن الاسلام ويقول(١٠) : « اما أن يراد بالقومية احياء عادات جاهلية درست واقامة ذكريات بائدة خلت ، وتصفية حضارة نافعة استقرت ، والتحلل من عقـدة الاسـلام ورباطه بدعوى القومية والاعتزاز بالجنس كما فعلت بعض الدول فى المغالاة بتحطيم مظاهر الاسلام والعروبة ، حتى الاسماء وحروف الكتابة وألفاظ اللغةواحياء ما اندرسمنعاداتجاهلية فذلك فى القوميـة معنى ذميم وخيم العاقبة سىء المغبة يؤدى بالشرك الى خسارة فادحـة يضيع معها تراثه وتنحط بها منزلته ويفقد أخص مميزاته وأقدس مظاهر شرفه ونبله ولا يضر ذلك دين الله شيئا : « **وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** »(١١) ٠

وقد اعتبر الاسلام كل دعوة الى عصبية الجنس والاعتزاز بنسب القوم او العشيرة عودة الى الجاهلية الأولى فى تعصبها وحميتها وضلالها، وروى ابو داوود أن النبى ﷺ يقول : « ليس منا من دعا الى عصبية ،

---

(٨) العالم الاسلامى والمكائد الدولية للأستاذ فتحى يكن ـ مؤسسة الرسـالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) ص ٥٧

(٩) من محاضرة للأستاذ محمد المبارك عام ١٣٨٩ هـ ، ص ٨٥ اقيمت فى رابطة العالم الاسلامى ٠ نقلا عن كتاب العالم الاسلامى والمكائد الدولية للأستاذ فتحى يكن ص ٥٧

(١٠) مجموعة رسائل الامام الشـهيد حسن البنا ، دار القلم بيروت بدون تاريخ ص ١٠٩ (١١) محمد : ٣٨

وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية»(١٢) .
وروى مسلم أن النبى ﷺ يقول : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة او يدعو الى عصبة او ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية ، ومن خرج على امتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لذى عهد عهده فليس منى ولست منه »(١٣) .

* * *

● **مؤامرة فصل الدين عن الدولة :**

صدر كتاب « الاسلام واصول الحكم » للشيخ على عبد الرازق القاضى الشرعى فى مصر عام ١٩٢٥ وذلك بعد أن مضى عام على سقوط الخلافة الاسلامية على يد كمال اتاتورك . « وقد بذل هذا الكاتب التقدمى كل جهده واهدر قصارى امكانياته ليبرهن على ان الحكم ليس من طبيعة الاسلام فى شىء وأن الاسلام دين لا علاقة له البتة بالسياسة والحكم وان تاريخ الحكم الاسلامى ما هو الا استبداد وظلم »(١٤) .

وجاءت فى كتاب « الاسلام واصول الحكم » مفاهيم كثيرة تتنافى مع البديهيات الاسلامية التى تتعارف عليها الأجيال الطويلة . ونقرأ مما يقول الشيخ على عبد الرازق :

١ ـ « ان الخلافة فى الاسلام لم ترتكز الا على اساس القوة الرهيبة وان تلك القوة كانت ـ الا فى النادر ـ قوة مادية مسلحة »(١٥) .

---

(١٢) سنن أبى داوود ، مطبعة مصطفى البابى بمصر الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ ، جـ ٢ ص ٦٢٥

(١٣) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى جـ ٣ ص ١٤٧٦ ـ ١٤٧٧

(١٤) مؤامرة فصل الدين عن الدولة للأستاذ محمد كاظم حبيب دار الايمان بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) ص ٤٠

(١٥) الاسلام واصول الحكم للشيخ على عبد الرازق مطبعة مصر الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) ص ٢٨

٢ ـ « ان شعائر الله تعالى ومظاهر دينه الكريم لا تتوقف على ذلك النوع من الحكومة يسميه الفقهاء خلافة . ولا على أولئك الذين يلقبهم الناس خلفاء . والواقع أيضا أن صلاح المسلمين فى دنياهم لا يتوقف على شىء من ذلك ، فليس بنا حاجة الى تلك الخلافة لأمور ديننا ولا لأمور دنيانا ولو شئنا لقلنا أكثر من ذلك . فانما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الاسلام وعلى المسلمين وينبوع شر وفساد »(١٦) .

٣ ـ ان ذلك اللقب « خليفة رسول الله » مع ما أحاط بـه من الاعتبارات التى أشرنا الى بعضها ولم نشر الى باقيها كان سببا من اسباب الخطأ الذى تسرب الى عامة المسلمين ، فخيل اليهم أن الخلافة مركز دينى وأن من ولى امر المسلمين فقـد حل منهم فى المقام الذى كان يحله رسول الله ﷺ »(١٧) .

٤ ـ « والخلافة ليست فى شىء من الخطط الدينية كلا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة . وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها »(١٨) .

واختتم على عبد الرازق كتابه بتشجيع المسلمين على أن يثوروا على نظام الخلافة الاسلامية « وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذى ذلوا له واستكانوا اليه »(١٨) على حد تعبيره . وقد قابلت الدوائر الاستعمارية والمراكز التبشيرية النصرانية كتاب الشيخ على عبـد الرازق بالترحيب والتصفيق لأنها فى الحقيقة تخدم أهداف الاستعمار وأعداء الاسـلام فى تشويه الاسلام من جانب وفى السيطرة على الشـعوب الاسلامية واذلالها الى الأبد(١٩) . وأثار الكتاب ضجة كبيرة فى أوسـاط المسلمين .. اذ أعلن الشيخ أن الخلافة الاسلامية لا أصل لها من الدين ، ودعا الى الفصل

---

(١٦) الاسلام وأصول الحكم ـ المصدر السابق ص ٣٥ ـ ٣٦
(١٧) المصدر السابق ص ١٠١ .
(١٨) نفس المصدر ص ١٠٣
(١٩) العالم الاسلامى والمكائد الدولية للأستاذ فتحى يكن ص ٦٠

بين الدين والحكم ، أو بين الاسلام والدنيا وانه يجب انهاء الخلافة من تاريخ المسلمين(٢٠) .

وهو بهذا قد خالف ما جاء بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ، كما انه خالف اجماع المسلمين . يقول الله تعالى : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا . يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا** » (٢١) ويقول الرسول ﷺ : « كلكل راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته . كلكم راع ومسئول عن رعيته »(٢٢) (متفق عليه) .

ويقول الرسول ﷺ : « من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »(٢٣) (رواه مسلم) .

ويقول رسول الله ﷺ : « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى . وانه لا نبى بعدى . وستكون خلفاء فتكثر » ، قالوا

---

(٢٠) مجلة الارشاد (اليمنية) العدد (١٠ ـ ١١) السنة السادسة شوال ـ ذو القعدة ١٤٠٤ هـ (يوليو ـ اغسطس ١٩٨٤ م) مقال بعنوان : الخلافة الاسلامية بعد ستين سنة من سقوطها للأستاذ صلاح الدين عبد المقصود ص ٣٥

(٢١) النساء : ٥٨ ، ٥٩

(٢٢) رياض الصالحين للنووى ، دار الارشاد بيروت ١٣٨٧ هـ ص ٩٨

(٢٣) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى دار احياء الكتب العربية طبعة أولى ١٣٧٥ هـ ، ج ٣ ص ١٤٧٨

فما تأمرنا ؟ قال : « فوا ببيعة الأول فالأول . وأعطوهم حقهم . فان الله سائلهم عما استرعاهم » (٢٤) (رواه مسلم) .

وأصدرت هيئة كبار العلماء فى ٢٢ محرم سنة ١٣٤٤ هـ (١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥ م) حكمها بأدانة الشيخ على عبد الرازق واخراجه من زمرة العلماء . وكان من حيثيات الحكم أن الشيخ عليا جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا . وقد ردت الهيئة على هذا الزعم الباطل بأن الدين الاسلامى هو اجماع المسلمين على ما جاء به النبى ﷺ من عقائد وعبادات ومعاملات لاصلاح أمور الدنيا والآخرة ، وان كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، كلاهما مشتملة على أحكام كثيرة فى أمور الدنيا وأحكام كثيرة فى أمور الآخرة(٢٥) .

ان فكرة فصل الدين عن الدولة فكرة علمانية أوحى بها الصليبيون والماسونيون ليستطيعوا اخضاع العالم الاسلامى لسيطرتهم ونفوذهم . وأول ما ظهرت هذه الفكرة العلمانية الدخيلة فى الشرق كان فى تركيا وعلى اثرها سقطت الخلافة الاسلامية ومنها انتقلت الى مصر والعالم العربى والاسلامى . حيث اجترأ المارقون علنا على التصريح بوجوب فصل الدين عن الدولة بعد ان كانوا يضمونها فى خبايا نفوسهم الخبيثة خشية من الجماهير المؤمنة(٢٦) .

ان المنادين بالعلمانية وفصل الدين عن الدولة والسياسة قد ابتدعوا دينا جديدا واصحابه خارجون على دين الاسلام . ويقول الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله : « ان من يدعو الى فصل الدين عن السياسة انما تصور دينا آخر وسماه الاسلام »(٢٧) .

---

(٢٤) صحيح مسلم ـ المصدر السابق جـ ٣ ص ١٤٧٢

(٢٥) العالم الاسلامى والمكائد الدولية للأستاذ فتحى يكن ص ١٠٩ ـ ١١٠ باختصار .

(٢٦) انظر : مؤامرة فصل الدين عن الدولة للأستاذ محمد كاظم دار الايمان بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ ، ص ١٣ وما بعدها .

(٢٧) المصدر السابق ص ٢٠

ويقول أيضا : « فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين ولا يقدم عليه المسلمون الا بعد ان يكونوا غير مسلمين »(٢٨) .

ويقول شيخ الاسلام مصطفى صبرى رحمه الله : « ان هـذا الفصل مؤامرة بالدين للقضاء عليه ، ولقد كان فى كل بدعة أحدثها العصريون المتفرنجون فى البلاد الاسلامية كيد للدين ومحاولة للخروج عليه لكن كيدهم فى فصله عن السياسة ادهى واشد من كل كيد »(٢٩) ويضيف « وهو أقصر طريق الى كفر »(٣٠) .

وان فصل الدين عن الدولة لا يقل خطرا عن فصل الأمة عن دينها ويقول شيخ الأزهر الأستاذ الأكبر المراغى : « ان فى امكان أى حكومة اسلامية أن تخرج عن دينها فتصبح حكومة لا دينية . وليس فى هذا مانع من أن يبقى الشعب على اسلامه كما هو الحال فى تركيا الجديدة »(٣١) .

***

(٢٨) مؤامرة فصل الدين عن الدولة ـ المصدر السابق ص ٢١
(٢٩) نفس المصدر ص ٧٨
(٣٠) موقف العقل والعلم جـ ٤ ص ٢٨١
(٣١) مؤامرة فصل الدين عن الدولة ص ٧٩

المبحث الثالث

قيام الدويلات الوطنية على أساس علمانى وقومى جاهلى

فقد اقتحمت العلمانية المجتمع الاسـلامى فى أى مكان احتله الغرب الصليبى ، وفى فترة الاحتلال المباشر على العالم الاسلامى استولى الغرب على نظام الحكم بفلسفته العلمانية التى تسقط الدين فى مفهومه عن السلطة والحكم . واخذ يغالب الاسلام فى عنف ويقهره على الاستكانة والتخلى عن حاكميته وشريعته طوال فترة الاحتلال المباشر .

وبعد استقلال البلاد الاسلامية من الاستعمار الغربى لم يعد الوضع أحسن بالنسبة للاسلام فى الحكم الوطنى . لأن هذا الحكم الوطنى اعتمد على الجيل الذى تربى فى المدارس العلمانية التى اقامها الاستعمار وغرس فيها مبادىء وفلسفات تدافع عن العلمانية(١) .

● **الجيل العلمانى من صنع الاستعمار الغربى :**

وعن هذا الجيل العلمانى الذى يحكم العالم الاسلامى بعد مغادرة الاستعمار يقول الدكتور يوسف القرضاوى(٢) : « كان الاستعمار الغربى يسيطر على البلاد الاسلامية وكان بالطبع هو الذى يختار حكامها ويوجههم ويدير دفة الأمور على ما يريد مباشرة او من وراء ستار » . ولذا سار الحكم فى هذه البلاد فى الاتجاه العلمانى الليبرالى الديمقراطى الرأسمالى الغربى الذى يؤيده الاستعمار المتسلط . كما تؤيده جمهرة المثقفين الذين تعلموا على يديه والذين راوا ان هذا النظام الجديد يحمل معانى التقدم والحرية والتطور والتجدد ، ويقاوم الجهل والجمود والتخلف والاستبداد الذى اتسمت به عصور الاتحطاط السابقة .

---

(١) انظر : الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه للدكتور محمد البهى . مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤

(٢) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ، مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ص ٤٣

واضاف الدكتور يوسف القرضاوى : ان هؤلاء العلمانيين لا يعرفون حقيقة الاسلام وشموليته وحضارته ، فيقول عنهم(٣) : « ولم يتح لهم من العلم النافع ما يعرفون به حقيقة دينهم الاسلام الذى يؤمنون به اعتقادا ، ويجهلونه شريعة ونظاما وفلسفة وحضارة ، كما لم يكن لديهم من دوافع الرغبة فى معرفة ما يجهلهم يطلبون العلم به عند اهله العارفين به ، وقليل ما هم . فالولع بتقليد الغرب المتفوق الغالب سد عليهم منافذ المعرفة أو الرغبة فيها شأن المغلوب مع الغالب ، والضعيف مع القوى كما قال حكيم المؤرخين ابن خلدون » .

وذكر الدكتور محمد البهى فى كتابه « الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر:مشكلات الحكم والتوجيه»ـ ان الأجيال التى تتولى الحكم الوطنى بعد الاستقلال لم يكن لديها الاستعداد الكافى لمراجعة النظام العلمانى وذلك بحكم تكوينها الثقافى العلمانى ويقول(٤) : « ان ممارسة الأجيال الجديدة للحكم الوطنى فى المجتمعات الاسلامية بعد الاستقلال السياسى تسير على تقليد الغرب فى كل ما له من نظم ، لأنها ورثت اصول هذه النظم من الغرب المستعمر فى مجتمعاتها الاسلامية التى منحت الاستقلال السياسى منه . ومن السهل عليها ان تستمر على اساس منها عن طريق المحاكاة والتقليد بدلا من التأصيل من جديد على تراث الماضى فى تلك المجتمعات . ولأنها كذلك غير مستعدة بحكم تكوينها الثقافى والتوجيهى ان تنظر فى هذا التراث نظرة فاحصة . وكذلك بسبب ما أسدل على هذه التراث من الوان قاتمة صرفت نفوسها عنه ، ورسمت فى تصورها اياه شبحا رهيبا يخيف ويفزع قبل ان يشجع على الاقدام عليه » .

* * *

---

(٣) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٤٣

(٤) الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر للدكتور محمد البهى ص ٣٥٦

● **المفهوم الغربى للدين والدولة هو الفصل بينهما :**

وكانت العلمانية من اخطر النتائج وأعمق الآثار التى حفرها الاستعمار الغربى من بعده ، فالعلمانية جملة من المبادىء والتطبيقات ترفض اية صورة من صور العمل بأحكام الله ودينه فى المجتمع والدولة . وانما هى تؤمن بوجوب تنحية الدين وأحكامه ثم ابعاده من الدخول فى اى شأن من شئون الدولة وعلى وجه أخص فى التربية العامة وفى قيادة المجتمع والحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية(٥) ، وبعبارة أخرى هى العمل على سيادة المفهوم الغربى لما يسمى دينا وما يسمى دولة وتأكيد للفصل بينهما فكريا وعمليا فى كل بلد يدخله الاستعمار واصطناع الهوة السحيقة بينهما حتى لا يعود فى يوم قريب الدين الى سلطانه فيسيطر على الدولة ويوجهها(٦) .

فقد سار الحكم الوطنى فى طريق العلمانية تشريعا وتوجيها وتثقيفا وعمل القادة والزعماء العلمانيون فى البلاد الاسلامية « على علمنة الأفكار والأوضاع بحيث حصر الدين فى المساجد وبعض الزوايا التافهة وفرض على الشرق المسلم مفهوم الغرب المسيحى للدين : اى أنه مجرد علاقة بين المرء وربه »(٧) ، وشاعت فى الناس شعارات « الدين لله والوطن للجميع » و « لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين »(٨) و « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »(٩) .

---

(٥) انظر : الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر للدكتور محمد البهى ص ٣٥٩ باختصار .

(٦) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٤٦

(٧) المصدر السابق ص ٤٨

(٨) من شعارات رددها الرئيس أنور السادات .

(٩) انجيل متى الاصحاح ٢٢ الآية ٢١ « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وهذا المبدأ لا أساس له فى الاسلام . يقول الشيخ محمد عبده « ثم لم يكن من اصوله أن يدع ما لقيصر لقيصر .. بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله ويأخذ على يده عمله » . انظر مجلة الاعتصام العدد الثالث والرابع ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) .

وقام النظام التعليمى العام فى المدارس والجامعات على هـــذا الأساس كمـا قام التثقيف العام عن طريق الكتب والصحافة والاذاعة على هـذا النهج . وبذلك ثبت المفهوم الاستعمارى الدخيل الخبيث : أن الدين لا شـأن له بالسياسة وان الدولة لا علاقة لها بالدين(١٠) .

فقد أصيب المجتمع الاسـلامى بهذا الانفصام العلمانى فانقسم كل شىء فيه من فكر وعلم وقانون وادارة وسياسة ، ويقول الدكتور يوسف القرضاوى(١١) : « ومن نتيجة هـذا الانفصام تسمية بعض الناس رجال الدين فى مقابل تسمية آخرين برجال الدولة أو السياسـة أو العـلم . مع أن الفكر الاسلامى لا يعرف فكرة رجال الدين كما عرفها الغرب المسيحى . انما يعرف علماء الدين المتخصصين فى دراسته وفقهه . أما بعد ذلك فكل مسلم رجل دين » .

* * *

● **تبعية المجتمعات الاسلامية للنظام الليبرالى أو النظام الاشتراكى :**

يقول الدكتور يوسف القرضاوى(١٢) : « فرغم جلاء الجيوش الأجنبية عن البلاد واعلان الاستقلال والاحتفال به كل عام ، وانتقال السلطة من أيدى الأجانب الى أيدى الوطنيين لم يتحقق من الاســتقلال الا اسـمه ومظهره لا لبه وروحه ، وذلك لأن معظم البلاد الاســلامية او الدول القومية الوطنية لم تزل تابعة للغرب فى اتجاهاته ومذاهبـه وأنظمته وهى تتخذ الغرب المـادى قبلة لها فى مناهج فكرها وثقافتها وفى نظم حكمها وسياستها واقتصادها ســواء أكان هذا الغرب رأسماليا ليبراليا ام اشتراكيا شيوعيا فكلاهما غرب »(١٣) .

---

(١٠) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٤٩

(١١) المصدر السابق ص ٥٠

(١٢) الحل الاسلامى فريضة وضرورة للدكتور يوسف القرضاوى ، مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ص ٢٨

(١٣) انظر الحل الاسـلامى للدكتور يوسف القرضاوى ص ٢٨ بتصرف .

ويقول الدكتور محمد البهى(١٤) : « ان المجتمعات الاسلامية لم تزل موزعة على نظامى الحكم ـ يعنى الليبرالى والاشتراكى ـ على أساس من الفكر الغربى وحده وبذلك لم تتخل عن التبعية للأجنبى وثائق الاستقلال وممارسة بعض مظاهره من الانتقال من نوع الى آخر فى نظام حكمه وايدولوجيته . وليس من هـذه المجتمعات ـ حتى الآن ـ ما راجع الاسلام فى صلاحيته لسياسة المجتمع ، وضبط سلوك الأفراد فيه ، مراجعة جدية بناءة حتى ذلك المجتمع فى آسيا الذى أعلن منذ ربع قرن تقريبا ـ بعد جهاد مرير طال أمده ـ قيامه على أساس من الفكر الاسلامى وحده » يعنى مجتمع باكستان التى نودى بقيامها على أساس الاسلام . الى أن يقول الدكتور : « لا بديل عن الاسلام فى الحفاظ على استقلال هـذه المجتمعات وأى بديل الآن يظن أنه كاف فى سياسة الحكم والتوجيه فيها هو ـ على سبيل القطع والتأكيد ـ بداية لتبعية تنتهى حتما الى ذوبان لشخصيات هـذه المجتمعات والى ضياع مقوماتها » .

* * *

● **فشل الليبرالية والاشتراكية فى العالم الاسلامى :**

لقد أثبتت التجربة العلمانية بشقيها الليبرالى والاشتراكى فشلها فى البلاد الاسلامية وساءت فى ظلها الأحوال وفسدت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولم تنجح فى اقامة تضامن حقيقى بين تلك البلاد .

يقول الدكتور يوسف القرضاوى(١٥) : « **ان الليبرالية لم تكن يوما ما صالحة لعلاج مشكلاتنا وشفاء أمراضنا والرقى بأمتنا لأنها نشأت فى مجتمع غير مجتمعنا لتعالج أوضاعنا** » **ومن أسباب فشل الليبرالية فى**

---

(١٤) عن مقال « الشباب المسلم » للدكتور محمد البهى بمجلة الوعى الاسلامى السنة السابعة العدد ٧٧ ، جمادى الأولى سنة ١٣٩١ هـ (يونيو سنة ١٩٧١ م) نقلا عن الحل الاسلامى للدكتور يوسف القرضاوى ص ٢٩ وكذلك التعليق عليه .

(١٥) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ١١٢

المجتمعات الاسلامية هو أن المسلمين لا يؤمنون بها ولا بشرعيتها ولا تكتسب لنفسها رضا المسلمين وولاؤهم واحترامهم . بل ان المسلمين يرون أن الليبرالية الديمقراطية نظام قاصر ككل الأنظمة التى يضعها البشر لأنفسهم بعيدا عن هدى الله ونوره فتأتى حتما مليئة بالثغرات ونقاط الضعف والقصور التى تنكشف للناس يوما بعد يوم ، ولم تبرأ الليبرالية الديمقراطية من عيوب . واضافة الى ذلك أن الليبرالية مذهب مستورد من مجتمعات غريبة عن المجتمعات الاسلامية التى لها عقيدة راسخة وشريعة شاملة وقيم عظيمة »(١٦) .

وكذلك بالنسبة للاشتراكية فى البلاد الاسلامية والعربية فقد سقطت فى الخطأ الأكبر الذى وقعت فيه الليبرالية من قبل ، وكان الخطأ الأول للاشتراكية الثورية العربية انها لم تعرف حقيقة الامة التى تقودها وتضع الحلول لمشكلاتها وهى لم تعرف تاريخ هذه الامة ولم تسبر غورها ولم تنفذ الى روحها لنعرف حقيقة أفكارها ومشاعرها واتجاهاتها(١٧) .

ومن المبادىء الأساسية للاشتراكية العربية « النظرية الثورية » ، وهى نظرية مستوردة من الحركة الاشتراكية العلمية فى البحث والتحليل . ومن ذلك لا بد من الصراع العنيف والانقسام الحاد فى المجتمع ولا بد لكى يتحقق المجتمع العربى الاشتراكى من تجمع القوى التقدمية وتنظيمها حسب العقيدة الاشتراكية والهجوم على الرجعية(١٨) . ويقول المستكاوى أحد الاشتراكيين العرب(١٩) : « الاشتراكية هى مسألة عقيدة اعتنقها الشعب العربى كله من حدود ايران فى الشرق حتى مشارف المغرب على المحيط الأطلسى » ، واذا لاحظنا مواثيق وقرارات حركة القوميين الاشتراكيين العرب وجدنا كثيرا فى عباراتها . من الفكرة

---

(١٦) انظر : الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ١١٢ باختصار وتصرف .

(١٧) المصدر السابق ص ٣٠٠

(١٨) نفس المصدر ص ٣٠٤

(١٩) من كتاب « فى التطبيق الاشتراكى » نقلا عن كتاب الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣٠٥

الماركسية والروح الماركسية وبخاصة لدى الأجنحة المتطرفة فيها . ومن أمثلة ذلك وجدنا فى مصر ذكر الميثاق « أن الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم . كما أن الحل الاشتراكى حتمية تاريخية»(٢٠) وكذلك قررت حركة القوميين العرب « اعتماد الاشتراكية دون سواها واعتماد الثورية والايمان بالصراع الطبقى كحقيقة علمية لا بد منها للتطبيق الاشتراكى »(٢١) .

ويعلق عليها الدكتور يوسف القرضاوى فيقول(٢٢) : « بهذه الاشتراكية المتمركسة حاول البعثيون والناصريون والحركيون أن يملأوا الفراغ العقائدى فى قوميتهم العلمانية . وتخيلوا أنهم حلوا العقدة بهذا المضمون الاشتراكى الملفق المستورد . وانهم وجدوا به السائل المناسب ليملأوا به كأس عروبتهم التى افرغوها من الشراب الطبيعى الأصيل للأمة العربية وهو الاسلام » .

لقد أخطأ اليساريون الاشتراكيون العرب فى الاتجاه كما أخطأ الليبراليون اليمينيون من قبل . وخطأ الاتجاه يعنى أن كل المشروعات والتحركات والأعمال لا تؤتى أكلها ولا تعطى ثمرتها المرجوة(٢٣) .

لقد أخفقت أيديولوجيتهم وحق لها أن تخفق ، وفشل نظامهم وكان حتميا أن يفشل . فمحال أن تنجح أيديولوجية أو نظام يفرض على أمة تعتقد ـ بحكم تعاليم دينها ـ أنها تملك أمثل فلسفة لتفسير الوجود وأكمل نظام لتوجيه الحياة واعدل شريعة لتسيير المجتمع .

محال أن تنجح هذه الأيديولوجية أو ذاك النظام المستورد الا اذا أخلت الأمة بالتزامها بدينها ونقضت ـ جهرة ـ عهدها مع ربها ورضيت لنفسها الكفر بالدين(٢٤) .

* * *

---

(٢٠) نقلا عن كتاب الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣٠٥

(٢١) انظر : الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥

(٢٢) المصدر السابق ص ٣٠٥

(٢٣) المصدر السابق ص ٣١٦

(٢٤) المصدر السابق ص ٣١٧

● **فرض العلمانية بالقوة على المجتمع الاسلامى :**

ان العلمانية بشقيها الليبرالى والاشتراكى لم يكن لها قبول ورواج من الأمة الاسلامية ولا تكاد تجد من يصغى اليها فى البلاد الاسلامية للشعور العام بأنها تصطدم بنظام الاسلام فى الحياة والمجتمع « ولكن الذى حدث أن الاشتراكية كزميلتها الليبرالية الديمقراطية كلتاهما فرضت من فوق . كما قال برنارد لويس : « الليبرالية فرضها الاستعمار ثم خلفاؤه من الحكام الوطنيين ، والاشتراكية فرضتها الانقلابات العسكرية بالدبابات والمدرعات » (٢٥) .

ولم تستطع العلمانية فى أكثر البلاد الاسلامية ان تكتسب لنفسها الصفة الشرعية لدى الجماهير المسلمة ، ولم يستطع الحكام والزعماء العلمانيون ـ سواء اكانوا ليبراليين أو اشتراكيين ـ أن يظفروا بالقبول الجماهيرى لأن الجماهير المسلمة آمنت اجمالا بأن الاسلام دين الحياة وان شريعته صالحة لكل زمان ومكان وأن الأمة ترفض ابعاد الاسلام عن الدولة وترى فى ذلك مروقا وخيانة لله ولرسوله ولجماعة المسلمين(٢٦) .

واذا علمنا أن الاسلام عقيدة وشريعة ونظام كامل للحياة فان قبول العلمانية فى المجتمع الاسلامى يعنى « اطراح شريعة الله ورفض أحكام الله واتهام هذه الشريعة بأنها لا تصلح لهذا الزمن ، واتخاذ البشر شرائع لأنفسهم من وضع عقولهم على علم الله وتجاربهم القاصرة على هداية الله « **قل أأنتم أعلم أم الله** »(٢٧) .

لهذا كانت الدعوة الى العلمانية بين المسلمين معناها الالحاد والمروق عن الاسلام . وكان قبول العلمانية أساسا للحكم بدلا من الشريعة الاسلامية ردة صريحة عن دين الأمة الذى رضيه الله لها . ورضيته لنفسها ، والذى

---

(٢٥) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣٢١

(٢٦) المصدر السابق ص ٤٨ بتصرف .

(٢٧) **البقرة : ١٤٠**

فرض عليها ان تحكم بما أنزل الله(٢٨) . ولكن العلمانية فرضت على البلاد الاسلامية بقوة الدبابات او بخداع رأى الجماهير . ولم يكن للأمة الاسلامية فى ذلك اختيار ولا مدخل . وفرضت على الجمعيات الاسلامية ان تنص فى نظامها الأساسى على أنها لا تتدخل فى السياسة، وحين اشتغلت احدى الجماعات الاسلامية بالسياسة ودعت الى الحكم الاسلامى واقامة الدولة الاسلامية وتطبيق الشريعة الاسلامية كان أول ما اتهمت به أنها خلطت الدين بالسياسة ، وانها حاولت الانقلاب على نظام الحكم العلمانى أو الحكم القومى .

فأصبح الصراع فى المجتمعات الاسلامية صراعا داخليا بين العلمانيين والاسلاميين . وكانت هناك خصومة بين الحركة الاسلامية والحكومة الوطنية وأسباب هذه الخصومة كثيرة « فالحكومات تسترضى الدول الكبرى وتستعطفها وتتقرب اليها بضرب عدوها وهو الاسلام حيث تخشى هذه الدول الكبرى أن تعود للاسلام دولته ، وأن أعداء الاسلام فى الشرق والغرب يرون الاسلام خطرا عظيما عليهم ومن هذه الأسباب يتجاهل بعض الحكام الوطنيين الاسلام أو لعل بعضهم يكونون علمانيين أو غير مؤمنين بالله اصلا »(٢٩) .

* * *

● **دويلات وطنية وليست بدار الاسلام :**

فقد ذكرنا أن المؤامرات الصليبية واليهودية والماسونية كانت من وراء غرس بذور الفتنة القومية والوطنية لتحطيم الوحدة الاسلامية التى تمثلها الخلافة الاسلامية ولتمزيق العالم الاسلامى الى أجزاء ودويلات صغيرة يسهل ابتلاعها والسيطرة عليها بطريق الاستعمار المباشر أو فرض الوصاية والتبعية السياسية والاقتصادية والاستراتيجية .

---

(٢٨) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ١١٤

(٢٩) مجلة منار الاسلام ـ العدد السادس السنة الحادية عشرة جمادى الثانية ١٤٠٦ هـ (فبراير ١٩٨٦ م) حوار مع الشيخ طه السماوى ص ٩٣ ـ ٩٤ باختصار وتصرف .

ان الوضع السياسى للعالم الاسلامى اليوم فى حالة غيبة الخلافة الاسلامية التى تجمع اقطار المسلمين كان سيئا للغاية حيث تمزق العالم الاسلامى الى دويلات صغيرة ومتنازعة فيما بينها أو واقعة تحت النفوذ السياسى غير الاسلامى · يقول الدكتور القرضاوى(٣٠) : « ان أجزاء كثيرة من هـذا العالم الفسيح تشكو من سيطرة الأجانب ـ غير المسلمين ـ على أرضـها وتحكمهم فى أهلها كفلسطين وكشمير واريتريا والحبشـة وقبرص وبخارى وسمرقند وغيرها من ديار الاسلام »(٣١) ·

والأجزاء الأخرى من هـذا العالم تشكو من هـذا التمزق العجيب والتجزئة المفتعلة والحواجز المصطنعة التى جعلت من الأمة الواحدة ـ كما رضى الله لها أمما ودولا كما شاء الاستعمار · يجافى بعضها بعضا بل يضرب بعضها وجوه بعض ـ حتى لترى بعضهم يقف مناصرا لأعداء المسـلمين ضد المسـلمين استجابة لنعرات جاهلية أو خضوعا لسياسية استعمارية غربية أو شرقية(٣٢) ·

ويرى الدكتور اسماعيل الفاروقى أن النزعة القومية قد انتشرت فى العصر الحديث بين الأقاليم الاسلامية بتأثير من الغرب سواء أكانت هـذه الأقاليم تخضع لنظام استعمارى مباشر أو غير مباشر من خلال نزعة التقليد · ولقد كانت نيران النزعة القومية الشعوبية تزكى باستمرار بواسطة القوى الغربية من خلال التقسيم والاحتلال والانفصال · فوجد العالم الاسـلامى بعد الانتقال من الاستعمار مجزأ الى دويلات قومية منفصلة ولم تستطع هـذه الدول أن تتحد فيما بينها · ولا تكاد توجد حدود بين دول اسلامية لم تشهد توترا او اغتصابا واراقة دماء · وأسوأ هـذه الحروب اليوم كانت الحرب العراقية الايرانية ·

وسابقا كانت حرب اليمن والسعودية ، وحرب اليمن ومصر ، وحرب اليمن مع اليمن ، وحرب اليمن وسلطنة عمان ، وحرب الباكستان مع

---

(٣٠) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٣
(٣١) مثل أفغانستان وبورما والفلبين وقطانى ·
(٣٢) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٣

بنجلاديش ، والمواجهة الماليزية الاندونيسية فى كاليمانتان ، والمجابهة الجزائرية المغربية فى الصحراء ، والتوتر بين مصر وليبيا ، وبين ليبيا وتونس ، وبين السودان وليبيا ، وبين سوريا والأردن ، وبين سوريا والعراق ، وبين قطر والبحرين(٣٣) ٠

ان النزعة الوطنية والقومية لدى القوميين والعلمانيين ليست بمعنى ان يحب الانسان وطنه ويهتم بأمره ، أو أن يحب قومه ـ فهذا لا حرج فيه ـ ولكنها كانت بمعنى أن يصبح ولاء المسلم لرقعة معينة من الأرض أو الجنس أو عنصر خاص من الناس ٠ ومقتضى هذا أن يقدم الرابطة الوطنية الاقليمية والقومية العنصرية على الرابطة الدينية الاسلامية ، وهذا اتجاه مريض فى حياة الأمة الاسلامية ٠

لقد كان وطن المسلم من قبل يعنى دار الاسلام على اتساعها ، فكل أرض تجرى فيها أحكام الاسلام ، وتقام شعائره ، ويعلو سلطانه ، هى وطن المسلم يغار عليه ويدافع عنه كما يدافع عن مسقط رأسه ٠ وكان العالم ينقسم عند المسلم على هذا الأساس العقائدى ٠ فهو اما دار اسلام واما دار كفر(٣٤) ٠

ان دار الاسلام فى اصطلاح الفقهاء المسلمين هى « موطن تسود فيه شريعة الاسلام وتنفذ أحكامه وتحد حدوده وترفع شعائره وتعتمد تربيته ، تسود فيه قيم العدل فى القضاء ، والشورى والحرية فى الحكم ، والحرية فى المعتقد ، والاحسان فى التعامل ٠ مجتمع خلص الناس فيه من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة ٠ أما دار الحرب فهى كل وطن لا تسوده شريعة الله ولا تنفذ فيه أحكامه او هو بكلمة مختصرة نقيض دار الاسلام »(٣٥) ٠

---

(٣٣) انظر : مجلة المسلم المعاصر العدد (٣٨) ٠

(٣٤) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٥٢

(٣٥) نظرات فى مسيرة العمل الاسلامى للأستاذ عمر عبيد حسنة سلسلة كتاب الأمة الرقم الثامن ـ دولة قطر ـ الطبعة الأولى محرم ١٤٠٥ هـ ، ص ١٣٢

وهنا ينبغى التوضيح للأقوال العامة التى يطلقها بعض امراء او قادة الحركات الاسلامية المعاصرة على مجتمعنا بانه مجتمع جاهلى او ان المجتمع الذى نعيش فيه ليس بدار الاسلام كما قلت فى هـذا البحث . وذلك لا يعنى ان افراد المجتمع بأعينهم كفـار او جاهليون او ليسـوا بمسلمين . وفى هـذا يقول الشيخ طه السماوى(٣٦) : « احب ان اوضح ان كلمة المجتمع عند علماء السياسة والاجتماع لا تعنى افراد الناس بأعينهم وانما تعنى البنايات الكاملة فى هـذا المجتمع ، واننى حين اقول ان هذا المجتمع مجتمع جاهلى كافر ، لا اقصد ان اكفر افراد المجتمع بأعينهم فهـذا حكم لا ينصرف على هؤلاء الأقوام وانما ينصرف ذلك على الراية المرفوعة والأحكام الجارية . هـذا ما اعنيه ، وليس معنى ذلك اننى اكفر افراد المجتمع والا فأنا احد افراده واعيش فى هـذه الأرض وانعم بخيراته والا اعتبرت ايضا كافرا والعياذ بالله » .

ويرى الشيخ طه السماوى ان ما ذهب اليه هـذا لم يكن فكرا جديدا وانما هو الراى القديم لجمهور العلماء المسلمين وكان قديما يطلق عليه «دار الكفر»أو«دارالحرب» والآن يقال « مجتمع جاهلى » . ويقول(٣٧) : « وليس كلامى بدعة او فكرا جديدا كلا ، فقد اتفق جمهور الفقهاء على ان دار الكفر هى التى تعلوها احكام الكفر ولو كان اكثر اهلها مسلمين . ودار الاسلام هى التى تعلوها احكام الاسلام ولو كان اكثر اهلها كافرين . فالعبرة هنا بالراية المرفوعة والأحكام الجارية . واننى اعلم ان هـذا يجر علينا عداء اذا لم اوضح للناس مقصودنا وشرحنا وتفسيرنا وايضاحنا حتى يقتنعوا به .

فاذا قدم الكلام مجملا وحرفه اعداؤنا فانهم بتحريضهم هذا ينفرون

---

(٣٦) وهو من اشهر قادة الجماعات الاسلامية فى مصر وهـذا التصريح نقلا عن مجلة منار الاسلام التى تصدرها وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف بدولة الامارات العـربية المتحـدة . العـدد السادس السـنة الحادية عشرة جمادى الثانية ١٤٠٦ هـ (فبراير ١٩٨٦ م) فى حوار اجراه احمد محمد عبد الرحمن ص ٨٧

(٣٧) المصدر السابق ص ٨٧

الناس منا بل ويوهمونهم باننا نقصد افراد المجتمع باعينهم . ولكن لو قدمنا لهم شرحنا وايضاحنا بأمانة فسوف يقتنع الناس بما نقول وسوف يعلمون ان هـذا ليس جديدا فى دين الله وانما هو قول جمهور فقهاء المسلمين ، لم نزد عليه قيد انملة . لكننا عبرنا بالمصطلح الجديد مصطلح المجتمع وهم عبروا بالدار ، لكن العبرة بالمضمون والمعنى » .

ويرى الشيخ طه السماوى ان وصف مجتمع اليوم بانه مجتمع غير مسلم يكون صريحا مع الناس وكشفا لمرض حقيقى للمجتمع ويقول(٣٨) : « فعندما نعنى ما عناه جمهور الفقهاء فنحن لا نخدع الناس لأننا عندما نقول لهم ان هـذا المجتمع مسـلم فسوف نوهمهم بأن واقعهم واقع اسلامى . وبهذا نخدر الناس ونخدعهم ونغشهم . لكننا عندما نصـف الداء كما هو فاننا بذلك نكون امناء وندعو الى الأخذ بالدواء سريعا بجدية دون توان او اهمال » قال تعالى : « **ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون** »(٣٩) فهذه الآية صريحة فى تكفير من لم يحكم بما انزل الله . وبعض العلماء يجعلها فيمن يفضلون على حكم الله حكما آخر او يستحلون الحكم بغير ما أنزل الله(٤٠) وقال تعالى : « **ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر** »(٤١) . ان الآية نص صريح فى الحكم بالردة على كل من اطاع الكافرين ولو فى بعض الأمر »(٤٢) .

والخلاصة ان الحياة السياسية المعاصرة اصبحت تغلب على امرهـا انظمة كفر وجاهلية « حتى اصبح الحكم بغير ما انزل الله هو السمة الأصلية فى كل نظام حكم موجود فى العالم الاسلامى تقريبا »(٤٣)

---

(٣٨) مجلة منار الاسلام ـ المصدر السابق ص ٨٧
(٣٩) المـائدة : ٤٤
(٤٠) جند الله ثقافة واخلاقا للأستاذ سعيد حوى ، دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ ص ٥ (٤١) محمد : ٢٥ ، ٢٦
(٤٢) جند الله ثقافة واخلاقا ، للأستاذ سعيد حوى ص ٥ .
(٤٣) المصدر السابق ص ٦

فان طابع الردة هو الذى صبغ حياة العالم الاسلامى على اعتبار أن اجهزة الحكم كلها ـ تقريبا ـ آلت الى يد مرتدين او منافقين او كافرين أصليين(٤٤) . وعلى الرغم من أن بعض العلماء لا يحكمون على اغلب المجتمعات التى يغلب على أمورها المرتدون والكافرون فى العالم الاسلامى المعاصر بأنها مجتمعات كافرة ولكننا نستطيع أن نحكم على المجتمعات فى اقطار العالم الاسلامى على أنها مجتمعات فاسقة وظالمة او على حد تعبير الأستاذ سعيد حوى « اقل ما نحكم به على هـذه المجتمعات انها مجتمعات فاسقة تغلب على امرها مرتدون او فاسقون او كافرون او منافقون يعمقون الفسوق ويسيرون بالمسلمين نحو الردة الشاملة »(٤٥) .

ونوافق ما جاء فى بيان المؤتمر الاسلامى العالمى ، دعوة ومنهاج لاقامة النظام الاسلامى(٤٦) الذى انعقد بالخرطوم عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) والذى ينص على « أن من يعترض طريق اقامة المجتمع الاسلامى او يحول دون تطبيق شرع الله فردا كان او نظاما فانما يجرد نفسه من الانتماء

---

(٤٤) جند الله ثقافة واخلاقا ـ المصدر السابق ص ٨ .

(٤٥) نفس المصدر ص ١١

(٤٦) ومن محتويات هذا البيان « انطلاقا من عبوديتنا لله الواحد القهار .. نعاهد الله تعالى على أن نعمل من اجل اقامة مجتمع الاسلام على ارضه فى كل اقطار العالم الاسـلامى . مجتمع الناس فيه جميعا سواء امام شريعة الله تعالى ... ان المجتمع الاسلامى الذى نعمل على اقامته يؤسس على أن الحكم كله لله وحده ، والسيادة جميعها لشريعته ... والاعتصام بمبدأ وحـدة الأمة .... وتقوم وحـدة الأمة الاسلامية على المبادىء التاليـة :

(أ) دار الاسلام واحدة هى وطن مفتوح لكل مسلم .

(ب) كل ما هو قائم من حواجز مصطنعة او حدود سياسية مناقض لوحدة الأمة ولوحدة دار الاسـلام . والعمل على ازالته اسـاس لاقامة وحدة المسـلمين .

(جـ) الجهاد لتحرير كل شبر مغتصب من ارض الاسـلام مسئولية عامة ينهض بها المسلمون جميعا ، وهو اول واجب يفرضه الانتماء المشترك لدار الاسلام ، والتقاعس عنه خيانة للأمة وانسلاخ من هذا الانتماء » .

انظر النص الكامل للبيان فى جريدة الراية ١٢ جمادى الآخـرة ١٤٠٧ هـ الموافق (١٠ فبراير ١٩٨٧ م) .

للاسلام . وهو ـ بهذا الموقف ـ يسقط شرعيته بيده ويحق عليه قول الحق سبحانه وتعالى : « **ومن لم يحكم بما انزل فأولئك هم الكافرون** »(٤٧) .

« **ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون** »(٤٨) .

« **ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون** »(٤٩) .

***

(٤٧) المائدة : ٤٤
(٤٨) المائدة : ٤٥
(٤٩) المائدة : ٤٧